

فرحات عباس وملامح الدولة الوطنية المنشودة

Farhat Abbas and the desired national state features

أ.د./بشير فايد* Pr./ Faid Bachir

جامعة سطيف 02-02

Bachir-faid@gmail.com

معلومات المقال/History of the article		
القبول للنشر/Published	المراجعة/Accepted	الإرسال/Received
2019/12/30	2019/09/23	2019/07/27

ملخص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية، إلى عرض وتحليل ومناقشة، بعض عناصر البرنامج السياسي، للمثقف والمناضل السياسي الجزائري الشهير السيد فرحات عباس، بخصوص ملامح الدولة الوطنية التي كان ينشدها في الجزائر ما بعد الاستقلال، بعد 132 سنة من الاحتلال العسكري الاستيطاني الفرنسي، الذي ألغى الدولة الجزائرية كلية وطمس معالمها طيلة تلك المدة. الكلمات المفتاحية: فرحات عباس، الجزائر، فرنسا، الاستقلال، الدولة الوطنية.

Summary:

In this paper, we seek to present, analyze and discuss some elements of the political program of the famous Algerian intellectual and activist Mr. Farhat Abbas, regarding the features of the national state he sought in post-independence Algeria, after 132 years of French military occupation, Which completely abolished the Algerian state and obliterated its features throughout that period.

key words : Farhat Abbas, Algeria, French, Independence, the national state.

فرحات عباس، مثقف مناضل وسياسي جزائري، ولد بالطاهير بجيجل (شرق الجزائر) عام 1899م، من أسرة ثرية أضحت فقيرة بعد أن صودرت أملاكها الفلاحية، بسبب مشاركة جده في المقاومات الشعبية المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي (ضد حملة سانت أرنو سنة 1952م وفي ثورة الشيخ المقراني والحداد سنة 1871م) درس في المدارس الرسمية الفرنسية، وكانت مادة التاريخ أحب المواد إلى نفسه، يناقش أثناءها الأحداث التاريخية مع أساتذته الفرنسيين، ويصطدم معهم في أغلب الأحيان، بسبب تزويرهم للحقائق التاريخية، من خلال قولهم بأن أجداد الجزائريين هم ذاتهم أجداد الفرنسيين (القولوا) وبعد إنجازه للمرحلة الثانوية وحصوله على شهادة البكالوريا، أدى الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي بين 1921م-1923م، ثم التحق بعدها بجامعة الجزائر وتخصص في الصيدلة، وتخرج منها سنة 1931م بشهادة في الاختصاص¹.

بدأ نشاطه السياسي في العشرينات من القرن الماضي، في فيدرالية المنتخبين المسلمين، مع المناضل السياسي الدكتور محمد الصالح ابن جلول، أسس الاتحاد الشعبي الجزائري عام 1938م، اعتقل من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، إثر مجازر الثامن ماي 1945م، بتهمة التدبير لها رفقة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889م-1965م)، أسس حزبه الخاص الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في شهر ماي 1946م، انضم إلى جبهة التحرير الوطني عام 1955م، وأصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية في 1956م، ثم في لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (1958م-1961م)، وبعد الاستقلال أصبح رئيسا للمجلس التأسيسي، لكنه استقال منه عام 1963م²، احتجاجا على طريقة صياغة الدستور، الذي اعتبره تكريسا للسلطة الأحادية المطلقة وخيانة لتضحيات الشهداء الجسيمة، ففرضت عليه الإقامة الجبرية والسجن في 1964م (في عهد الرئيس أحمد بلة) و 197م (في عهد الرئيس هواري بومدين) ولم يطلق سراحه إلا في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد (1929م-2012م) توفي في 24 ديسمبر 1985م³.

يعد فرحات عباس، من أبرز المناضلين الجزائريين الأوائل، الذين تصدوا للنظام الاستعماري في الجزائر، عبر النشاط الصحفي والفكري والصراع السياسي المتواصل⁴، وبحكم ثقافته الفرنسية

فإنه لم يكن في بداية مساره النضالي، يؤمن بفكرة استقلال الجزائر عن فرنسا، بل يرى أنه لا يمكن للأولى أن تستغني عن الثانية، وبالتالي فإن الحل الوحيد في نظره لإصلاح أحوال الجزائريين هو الإدماج، لكن مواقفهم من المسألة تغيرت تدريجياً، فانتقل من نكران الهوية الجزائرية ومطلب الإدماج الكلي في فرنسا، إلى الإدماج مع المحافظة على الهوية العربية الإسلامية، ثم أصبح أكثر راديكالية لما رأى تماري الإدارة الاستعمارية في قمع الجزائريين فاستمات في إبراز ظلمها والدفاع عنهم، وانتهى به المطاف إلى الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية في 21 جوان 1955م⁵ ومنه يمكن تلخيص المسار السياسي النضالي لعباس أثناء الاحتلال في ثلاث مراحل أساسية هي: البحث عن وطن داخل فرنسا، البحث عن وطن مع فرنسا، البحث عن وطن خارج فرنسا⁶.

ألف فرحات عباس عدة كتب هي: الشاب الجزائري سنة 1931م⁷، ليل الاستعمار سنة 1960⁸، تشريح حرب سنة 1980م⁹، الاستقلال المصادر سنة 1984م¹⁰، غدا سيطلع النهار سنة 1981م¹¹، بالإضافة إلى العديد من المقالات التي نشرت بمجلات وصحف مختلفة، وقد حاول من خلال الكتاب الأخير التعبير: "عن رؤيته الخاصة لمستقبل الجزائر بالنظر إلى التزامه الذي عقده على نفسه والخبرة التي اكتسبها طوال كفاحه السياسي الذي خاضه ضد كل مظاهر الظلم، وكذلك خلال الفترة الاستعمارية، وخلال هيمنة الحكم الفردي على البلاد- حيث- لم يفقد الأمل على الإطلاق في أن يرى الشعب الجزائري يعيش في يوم من الأيام في بلد تسوده الحرية و الديمقراطية ويتمتع فيه الجميع بنفس الحقوق والواجبات"¹².

1- لماذا الحديث عن دولة وطنية منشودة؟:

يعود فرحات عباس إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، ردا على المزاعم الفرنسية بعدم وجود دولة جزائرية قبل وقوع البلاد تحت سيطرتهم العسكرية في جويلية 1830م، فيؤكد تأكيذا قاطعا على وجود دولة وطنية جزائرية في تلك الأثناء، تتمتع بالسيادة، تعود حدودها إلى سنة 1515م، لا يختلف نظامها عن الدول المعاصرة لها، تحيا حياة وطنية ودولية، تعترف بها الكثير من الدول الأوروبية وغير الأوروبية، التي عقدت معها العديد من الاتفاقيات منها فرنسا وإنجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا، لها جيش منظم وأسطول بحري، منظمة إداريا

ومزدهرة اقتصاديا، اللغة العربية هي اللغة الرسمية، التعليم منتشر فيها على نطاق واسع، شعبها يتميز بالقوة والصلابة بمضاهاته للشعوب الأوروبية من جميع النواحي¹³.

ثم لخص بعدها وضع البلاد الجزائرية، بفعل سياسة الاحتلال الحائرة بكونها انقسمت إلى بلدين أو جزائرين: الأولى ذات مظهر عصري بناها الجزائريون بأموالهم وسقوها بعرق جبينهم دون أن يكون لهم حظ فيها وفي خيراتها، أما الجزائر الثانية فتظم ملايين الجزائريين من الأميين والبؤساء الجوعى جوعا مدقعا ومزمنًا، والأطفال المشردين بلا مأوى ولا مدرسة ولا قوت ولا عائل المطرودين المنبوذين، والتعساء الذي يسكنون مدن الصفيح والأكواخ، يفترشون حضيض الأرض، ويلتحفون أديم السماء، ينشب الموت أظفاره في بلدتهم فيأخذ من أطفالهم أعدادا لا تحصى بفعل مرض السل الذي أصاب السواد الأعظم من الشعب، فكانت جزائر ينتشر فيها بصورة مهولة الحزن والأنين والجوع والفقر والجهل والتشرد مثلما ينتشر داء البرص في الجسم¹⁴.

وبعد الاستقلال، واستعادة البلاد لحريتها وسيادتها، والتخلص من الوضع المشار إليه آنفا، ظل فرحات عباس إلى غاية وفاته سنة 1985م، يدافع عن مشروع الدولة الوطنية الديمقراطية الجمهورية، التي كان يفترض أن تكون تتويجا منطقيا لكفاح قاس ومرير وطويل، خاضه الشعب الجزائري، ضد فرنسا أعتا قوة استعمارية في الفترة الحديثة والمعاصرة، التي سلبته وطنه بجبروت قوتها العسكرية الطاغية، واستولت على أرضه الخصبة المعطاءة، ونهبت بشكل فضيع كل مقدراته الاقتصادية وطاقاته البشرية، وامتدت يدها لتتعبث بمقوماته الشخصية من دين ولغة وثقافة، وجعلته يحيا كل مظاهر الحرمان والبؤس والشقاء والإقصاء والتهميش والعنصرية المقيتة، فصادرت في المحصلة ماضيه وحاضره ومستقبله، ثمنا لمجدها وتفوقها واستمرارها الإمبراطوري الاستعماري، حدث ذلك طيلة 132 سنة، لكن وبالرغم من كل ذلك، نهض الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954م، فكسر قيود القهر، وأشرقت شمس الحرية والاعتناق بعد كسوفها الطويل، بفعل الليل الاستعماري الشديد الظلمة، وتمزقت سحب المعاناة والاستغلال البشع والعبودية في أبشع صورها، فجاء الاستقلال محملا بكل الآمال والتطلعات بغد مشرق في جميع الميادين يصلح ما أفسده دهر الاستعمار الفرنسي الغاشم ويعيد الاعتبار للجزائر دولة وشعبا فهل تحقق كل ذلك أو بعضا منه؟

يجيب فرحات عباس عن هذا السؤال بالنفي، فيقول بأننا لم نحسن التصرف بعد نيلنا للاستقلال في شهر جويلية 1962م، حيث كان الصراع حول المناصب سيد الموقف، وإدارة الظهر للقيم و الفضائل التي قادتنا إلى النصر، وانحلال الآداب العامة بصورة ضربت المجتمع في العمق وعلى نحو لم يحدث حتى خلال سنوات الحرب الطويلة، وزينت الجمهورية الجزائرية بلاحقة الديمقراطية الشعبية، دون أن تكون لا ديمقراطية ولا شعبية، واختار الحكام النظام الشمولي والسلطة الفردية والإيديولوجية الشيوعية نمجا لحكم البلاد، وكانت النتيجة فشل سياسي واقتصادي و اجتماعي، عاد معه السؤال عن الدولة التي نشدها والسبيل للوصول إليها، دولة تمنى فرحات عباس أن تتحقق فيها أعز أمنية له وهي رؤية: "أجيال الغد وهي تعيش من ثمار جهدها في كنف الرفاهية والسلام"¹⁵.

وبالفعل لقد أفسد على الجزائريين فرحتهم بالاستقلال، الصراع على السلطة بين هيئة الأركان(جيش الحدود)بقيادة العقيد هواري بومدين(1932م-1978م) وحليفه أحمد بلة(1918م-2012م) من جهة والحكومة المؤقتة بزعامة بن يوسف بن خدة(1922م-2008م) ومن يدعمهما في الجهة المقابلة، الذي بدأ قبل وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م، واشتد وخرج إلى العلن بعد دخول اتفاقيات إيفيان¹⁶ حيز التنفيذ، وإطلاق سراح الزعماء الخمسة(أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، مصطفى لشرف، محمد خيضر)في التاريخ ذاته، وحصول تجاذبات بين الدول العربية ودول الجوار بخصوصه، وتطور إلى المواجهة المسلحة بين الفريقين، في مشهد دنس تلك اللحظة العظيمة من الفرح والابتهاج، حسمه عامل القوة لصالح قيادة الأركان، فكان صيف تلك السنة حقيقة حزينا و مؤلما¹⁷ مما فوت على الجزائر فرص تحقيق الديمقراطية: "التي كان الشعب الجزائري المتعطش للعدالة والحرية مستعدا لممارستها والدفاع عنها بكرامة"¹⁸ على حد تعبير المناضل محمد مشاطي (1921م-2014م). وإزاء هذا الوضع المعقد، وجد القادة والمناضلون أنفسهم في عين الإعصار، فانقسموا في الغالب إلى فريقين أساسيين: فريق مع قيادة الأركان وفريق مؤيد للحكومة المؤقتة، في حين فضلت مجموعة صغيرة الحياض واستنكار تلك الممارسات، التي رأوا أنها لا تشرف الثورة الجزائرية، وتدفعوا بالجزائريين إلى حرب أهلية طاحنة ومستقبل مجهول¹⁹.

هذا ولقد حسم فرحات عباس موقفه من الصراع، بانضمامه إلى صف جيش الحدود، على حساب الحكومة المؤقتة بقيادة بن يوسف بن خدة، مبررا ذلك بوقوفه إلى جانب الشرعية (الشرعية الحقيقية كانت للحكومة المؤقتة) وبوضع حد للحرب الأهلية التي بدأت تقترب مهددة الجزائر ووحدها الترابية، بالإضافة إلى ضعف شخصية رئيس الحكومة بن خدة، وعدم قدرته على مواجهة جيش الحدود المسلح تسليحا جيدا، وبالتالي فشله في التحكم في الأوضاع السياسية التي بدأت في زعزعة الاستقرار، لكن هذه الشرعية التي وقف إلى جانبها عباس ستخيب أمله²⁰.

وهو موقف سيضطر فيما بعد، إلى اعتباره خطأ سياسيا، بحجة أنه لم يكن على دراية بنوايا بن بلة وبومدين، تبرير لم يقنع البعض فاعتبروا أن الحقيقة غير ذلك، وتكمن في تصفية حسابات بينه وبين بن يوسف بن خدة الذي خلفه على رأس الحكومة المؤقتة²¹، ومهما يكن فإن الشرعية التي انحاز إليها عباس، ستجعله يقف ضدها بفترة قصيرة جدا، بل ستفقد حريته وتضع حدا لمشواره السياسي بصورة نهائية.

بناء على ما سبق، يمكن القول أن مشروع الدولة الوطنية، كما تصوره عباس، ولا شك أن آخرين يقاسمونه التصور ذاته، بالنظر إلى حقائق الماضي ومعطيات الحاضر، لا زال مطروحا وبالتالي مؤجلا، ولذلك وجدناه يعبر بشكل واضح وصريح عن خيبة أمله فيما تحقق وأنجز، ويكتف بذلك، بل عمد إلى وضع برنامج سياسي، رأى أنه الكفيل بتحقيق الطموحات والآمال بدولة وطنية عصرية وراقية يدون اسمها ضمن لائحة الأمم المحترمة والمهابة من جميع النواحي، برنامج يقوم على: الخيارات الإيديولوجية والسياسية الصائبة، بناء دولة ديمقراطية و جمهورية، ذات علاقات خارجية قوية، وتعليم راق ومشبعة بالإيمان بالماضي والأمل في المستقبل.

2- الخيارات الإيديولوجية والسياسية الصائبة:

أعلن أحمد بن بلة في أول خطاب رسمي له، بعد انتخابه رئيسا للجمهورية الجزائرية، عن اختياره لنظام اشتراكي خاص بالجزائر، يجمع بين الماركسية الإسلام، نهج رفضه بشدة فرحات عباس، فاتهم بالميول البرجوازية ومعارضة الاشتراكية، فأعلن استقالته من رئاسة المجلس الوطني التأسيسي احتجاجا على ذلك، وعلى انفراد بن بلة أيضا بوضع دستور للبلاد، وانتهى الأمر بسجنه في 03 جويلية 1964م²²، والموقف ذاته كان للشيخ محمد البشير

الإبراهيمي (1889م-1965م) الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث اصدر بيان 16 أفريل 1964م، نصح من خلاله من بيده الأمر بالعدول عن الخيار الاشتراكي حتى لا تنزلق البلاد حسب رأيه إلى مستنقع الماركسية، وأوصى بالعودة إلى المبدأ الإسلامي الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وهو الشورى، كل ذلك من أجل بناء دولة جزائرية تقوم على العدل واحترام الحريات قوى الله سبحانه وتعالى، فكلفه هذا البيان الإقامة الجبرية والحرمات من الزيارات وإيقاف معاشه الضئيل، إلى غاية وفاته في 19 ماي 1965م²³.

وقد لخص فرحات عباس، ما قامت به الحكومات الجزائرية بعد الاستقلال، بالعجز عن استدراج الجماهير في ركبتها وإخراج البلاد من الظرفية، بسبب سعيها لانتزاع هذه الأخيرة من المجموعة المغاربية، ويفرض خيارات لا تتماشى وتطلعاتها، في الوقت الذي كان يجب عليها أن تستخلص العبر من الماضي، بما يسمح بالتحكم في الحاضر بصورة أفضل، لكنها في النهاية فضلت إدارة الظهر لدروس الماضي، باستنساخ نموذج مجتمع ماركسي اشتراكي من الديمقراطيات الشعبية، بمعنى أنها جعلت البلاد بعد حصولها على الاستقلال تنطلق من الصفر، فلم تتعلم شيئا بل أنها لم تحتفظ بشيء من الماضي إلا باستغلال ثروتي الغاز والنفط اللذين تم اكتشافهما في الصحراء الجزائرية من قبل دولة الاحتلال، فكان حسب الفشل ذريعا في إنتاج مجتمع يشيد أكثر مما يهدم، وحتى ما تم إنجازه في هذا الصدد تأثيره ظل محدودا على المستوى الجماهيري، بسبب طابعه الارتجالي وافتقاره إلى أي سند تاريخي²⁴.

ويستطرد فيقول: " أنه بالنسبة لنا، نحن المسلمين الملتزمون الذين طلبنا من الإسلام مفهوم الحياة وسبب وجود الإنسان على الأرض، يعتبر احترام الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ومساواة الجميع أمام القانون، ودراسة العلوم الدقيقة ومعرفتها جزء لا يتجزأ من الإيمان. القيم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية للإسلام هي قيم مثالية. وما دون ذلك كيفية تطبيقها من قبل البشر. فما علمنا إياه الكتاب شيء وتطبيقه على البشر شيء آخر"²⁵.

وبناء عليه اعتبر عباس، أنه من غير الضروري بل ومن المخجل، اللجوء إلى استعارة الاشتراكية الماركسية الشمولية من أوروبا الصناعية بغرض إعادة إحياء المجتمع الجزائري وضمان العمل والأقوات والكرامة للعمال، وهو دليل بالنسبة إليه للحكم على أصحابه بضعف الفكر

والجهل المطبق مبادئ الإسلام الاجتماعية، ويضيف أن الكل شاهد كيف ظلت النظم الاجتماعية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشعبية تحارب الديانات وخاصة الإسلام، علاوة على النتائج الكارثية التي نجمت عن تطبيقها في سبيل السعي لإيجاد مجتمع أكر إنصافاً، ما يدفع إلى اكتشاف الحقيقة- الصادمة- بعد أقل من قرن المتمثلة في كون أن كارل ماركس لم يكن سوى دجالاً، في توهمه أو حلمه بمجتمع بدون إله وطبقات ودولة، والأمر ذاته آلت إليه التجارب الاشتراكية التي طبقت في إفريقيا، فالنتيجة كانت ذاتها تهقر ورجوع إلى الأوضاع الإقطاعية التي تسيطر فيها الأقلية "النبلاء الجدد" على كل شيء بينما لا تحصل الجماهير على أي شيء، مثل هذا النظام المحكوم عليه بالفناء أو بالتغيير العميق لا يمكن برأي فرحات عباس أن يكون اللباس المنشود للجزائر: "فلا يمكن أن نزرع شجرة من موسكو في هضابنا العليا لأنها ستموت لا محالة"²⁶.

وقد صدّقت الأيام، ما تنبأ به وحذر منه عباس والإبراهيمي وغيرهما، إذ سمح النهج السالف الذكر بظهور طبقة برجوازية خربت الاقتصاد الوطني، وعطلت التنمية الاقتصادية الوطنية، وسادت الرشوة والانتهازية واللامبالاة والمحسوبية، وغابت الثقة بين الحاكم والمحكوم، وأضحى المواطن البسيط لا يؤمن بالقانون، لأنه لا يطبق إلا عليه فحسب، أما الكبار فهم أعلى من القانون²⁷.

3- في سبيل جمهورية جزائرية ديمقراطية:

انطلاقاً من قناعته الراسخة، أن الخلاص الوحيد هو الديمقراطية، وأن الدولة المصادرة هي في الواقع دولة ميتة، يرى عباس أن: "أن التغيير والتجديد لا يأتيان إلا من مؤسسات جمهورية وليبرالية التي بفضلها ستنكسر قيود القفص وسيتحرر شعبنا ليطير بأجنحته الخاصة"²⁸ وهو ما يسمح بالانكباب على المشكلات الحقيقية المتمثلة في: "الخروج من ظلمات العصور الوسطى، ولوج العصور الحديثة بفضل الثقافة والعلوم العصرية والتقنية، والتسلح لتفادي العودة إلى النظم القمعية حيثما أتت، بناء مغرب موحد يستطيع أن يبلور رؤية أفضل لمشكلات العالم وأن يكسب تأييداً جماهيرياً أكبر على المستوى العالمي"²⁹.

الخطوة الأولى في تقديره، تبدأ باستشارة الشعب فيما ينبغي فعله، انطلاقاً من مبدأ أساسي هو: أنه لا يمكن لأي كان ولأي تكتل أو حزب سياسي أن يجعل نفسه وصياً على الإرادة العامة التي يجب أن يعبر عنها بكل حرية، وفي هذا الصدد يجب انتخاب مجلس وطني تأسيسي بواسطة الاقتراع العام الحر والمباشر، حيث ستمكن من التعبير عن نفسها كل الآراء، ويتسنى للشعب اختيار ممثليه في المجلس، ويقوم هذا الأخير بدوره باستشارة الشعب طالباً منه إعداد شبه سجلات مطالب مماثلة لسجلات الأحوال العامة لعام 1798م في فرنسا، حيث يدون الجميع رجال ونساء وطلبة وعمال وتجار وفلاحين في القرى والمدن والبوادي أفكارهم الخاصة بشأن مصير البلاد، ويقومون بإرسالها إلى المجلس خلال ستة أشهر، ثم يتولى أعضاء المجلس دراستها بكل عناية، حيث تسهل من مهمتهم، وبالتأكيد هي استشارات ضرورية للشعب الجزائري الذي ما زال يحمل آثار أكثر من سبع سنوات من التضحيات والخوف والصمت على القسوة و القهر " ³⁰ وهو في أمس الحاجة إلى: "الترفيه عن نفسه والتعبير عن آرائه والمطالبة بحقوقه والروح بما ينتلج في نفسه" ³¹.

لقد ولى حسبه عهد المجاعة في ممارسة الحرية والكرامة والحياة تحت النظام الأبوي، فلكل واحد منا ما يقوله، ويجب أن يكون في استطاعة كل فرد أن يقول ما يريد دون أن يخشى شيئاً، فحتى الماركسيين المتسلطين الذي ظلوا لوقت طويل يناصرون التسلط اختاروا في النهاية الحرية في تطور لافت، والأمر يتعلق بالشيوعيين الفرنسيين والايطاليين ³².

يختتم عباس حديثه بأمله في أن يأتي ذلك اليوم الذي يتم فيه إدراك أن منطق الجميع أفضل من منطق السلطة، وهو ما سترتب عنه الاقتناع بوجوب العودة إلى احترام الإرادة العامة وسيادة الشعب الأساس الشرعي والوحيد للجمهورية، وعندئذ لن يكون مجرد خيال شعار من الشعب وإلى الشعب ³³.

وفي هذا الصدد، اقترح عباس برنامجاً (منهاجاً) سياسياً، معرباً عن أمله في أن يقوم في يوم من الأيام مجلس تأسيسي منتخب من طرف الشعب بحرية، من دراسته ومناقشة وربما الاحتفاظ ببعض ما جاء فيه، تضمن بالتفصيل النقاط التالية: مساواة الجميع أمام القانون، التمسك بالقطاعات الحساسة، تحقيق استقرار الوظيف العمومي، من أجل ثورة ريفية ممكنة،

إيقاف النزوح الريفي، حماية الأرض تنمية الغابات وبناء السدود، تعاونيات ريفية لضمان الغذاء والكساء، ترقية الطب الريفي، التصنيع، التجارة لتجار، إعادة هيكلة بنية الجزائر العمرانية، تصور تعليم راق للخروج من العصور الوسطى، الحد من سرعة النمو السكاني، تحرير المرأة، الإعلام العادل مدرسة للتربية والتعليم، أوقات العمل وأيام الراحة الأسبوعية، احترام الشعب والإيمان بالإسلام³⁴.

ووفاء لهذه الأفكار والقيم، سارع فرحات عباس، إلى تقديم استقالته من رئاسة المجلس التأسيسي- بعد أن قام الرئيس أحمد بن بلة بصياغة دستور على مقاسه، أتاح له الجمع بين مهام الأمين العام لجبهة التحرير الوطني التي تحولت إلى حزب شمولي ومهام رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، دستور لم يساهم في صياغته أي حقوقي أو رجل قانون، فعباس لم يكن ليقبل على حد تعبيره الخروج من النظام الاستعماري ليستقط تحت مظلة الدكتاتورية، معتبرا خطوة بن بلة بتكريس نظام السلطة الأحادية المطلقة، وإنكارا للمثل العليا التي تسلم بها المجاهدون خلال الكفاح، وفوق ذلك خيانة عظمى لتضحيات الشهداء الجسام³⁵.

وهو بذلك يكون قد رفض الوقوف إلى صف: "المغامرين الباحثين عن الزعامة والأبجد الشخصية على حساب آلام الشعب الجزائري، ليختار الوقوف إلى جانب الجزائر وليس إلى جانب الأشخاص، مضحيا بمصالحه الشخصية، ومضحيا بالامتيازات الواسعة التي منحت له كشخص مسؤول سام في الدولة الجزائرية- وبقي دوما- يعتبر حرية الرأي جزءا لا يتجزأ من كرامة الإنسان، فقد بقي متمسكا بفكرة الديمقراطية والثقافة الليبرالية التي تلغي الولاء للأشخاص، فالولاء في نظره لا يكون إلا للوطن"³⁶.

4- دبلوماسية فعالة:

يعتقد فرحات عباس، أن الجزائر سوف تضل الطريق، إذا هي ابتعدت عن الإطار الطبيعي لسياستها الخارجية، التي رسمت معالمها الثورة التحريرية منذ أيام اندلاعها الأولى، مع الأخذ في عين الاعتبار المتطلبات التي تنجر عن انتمائها إلى الإسلام والمغرب العربي البربري وحوض البحر الأبيض المتوسط الذي تحتل المسيحية فيه مكانة في غاية الأهمية، وفي هذا يظن أن لها كل الفرص لتصبح دولة ديمقراطية ولبرالية، يتوجب عليها أن تساهم مساهمة كبيرة في تحقيق

التوازن السياسي في شمال إفريقيا والبحر المتوسط، ومنه فإنه يقترح خارطة طريق تقوم على ما يلي:

1- العمل بداية وبأسرع وقت على تجسيد الاتحاد المغاربي، انطلاقا من تجارب الماضي منذ عهد ماسينيسا (ملك بربري) فالمرابطين ثم الموحدين فالأغالبة (دول قوية قامت في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى) الذين أخذوا على عاتقهم مهمة توحيد المنطقة، خاصة في ظل توفر عوامل النجاح بالمقارنة مع الاتحادات والتكتلات الأخرى، ممثلة في اللغة والدين والدماء الواحدة، وهو ولا شك هدف الطريق إليه شاق للغاية، يتطلب الكثير من الصبر والتضحيات والتجنيد للنوايا الحسنة³⁷.

2- بذل المزيد من الجهود لصالح الوحدة الإفريقية والتعريف بالإسلام الأصيل في إفريقيا وخاصة السودان، التي كانت رهان المواجهة بين الغرب (الرأسمالية) والشرق (الماركسية الستالينية) وتحولت في العديد من المرات إلى مسرح للاقتتال الدموي، والقيام بكل ما من شأنه تقوية التعارف والإخاء.

3- العمل في إطار الجامعة العربية، التي أدت ولا تزال تؤدي دورا لا يستهان به، وتقوية العمل الإسلامي المشترك، في ظل حالة التشتت والتشرذم التي تعيشها الشعوب الإسلامية، التي تتحاذبها القوى العظمى والإيديولوجيات التي نشأت في الدول الأوربية.

4- تحقيق التفاهم بين الديانات التوحيدية الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) وفي هذا الإطار من شأن علاقات جيدة مع الفاتكان تيسير المهمة.

5- المصالحة مع فرنسا والفرنسيين وشركائها في السوق الأوروبية المشتركة بالدرجة الأولى، ثم توسيع علاقاتها إلى باقي دول العالم والولايات المتحدة وروسيا والصين واليابان والهند وإندونيسيا والفيتنام وغيرها من الشعوب التي تتجه نحو المزيد من الرقي والرفاهية، والعمل في إطار هيئة الأمم المتحدة بالرغم من قصورها وعدم فعاليتها وعقمها³⁸.

في ضوءه يتضح أن عباس، قد جعل من الإرث التاريخي للثورة التحريرية مرجعا وعقيدة سياسية لا غنى عنهما بأي حال من الأحوال، للسياسة الخارجية للدولة الجزائرية المستقلة، وقد لخصها مؤتمر طرابلس المنعقد بين 27 ماي و04 جوان بليبيا، في شكل مبادئ عامة ثابتة تتمثل

في: مناهضة الاستعمار والامبريالية، دعم حركات التحرير، مساندة النضال من أجل الوحدة، النضال من أجل التعاون الدولي³⁹.

مع العلم أن الدبلوماسية الجزائرية، سابقة للثورة التحريرية، حيث تمتد في التاريخ البعيد وتستمد هويتها منه، وتركت بصماتها في الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وخلال المرحلة التي سبقت الثورة التحريرية، انصبت الجهود والنشاطات الدبلوماسية لمختلف اتجاهات الحركة الوطنية، على نقل معاناة الشعب الجزائري إلى العالم، واتسمت إجمالاً بالسمات الأساسية التالية: قوة الطرح والشجاعة في المواقف، السعي للاستقلال وإظهار شخصية الجزائريين وهويتهم، مناهضة الاستعمار، مناصرة القضايا التحريرية الأخرى، البعد المغربي والعربي للنضالات⁴⁰.

وعلى عكس المناضل فرحات عباس، الذي رأى أن السياسة الخارجية للجزائر هي دون مستوى الإرث التاريخي والتضحيات المبذولة-فإننا نجد في المقابل من يرى أن حكومات الاستقلال، لم تكن منفصلة عن التاريخ والإرث الحضاري للشعب الجزائري، ولا زالت لغاية اللحظة على النهج ذاته، بالرغم من التغيرات والهزات المحلية والدولية، ومازال صانع القرار يستند إليها في اتخاذ قراراته، بل ويجتهد في عدم الخروج عنها⁴¹.

5- تعليم راق لولوج عصر التقدم العلمي والتقني:

أكد فرحات عباس على أن أي تغيير بالنسبة للشعوب الإسلامية، ينبغي أن يستهدف: "زعزعة رواسب قرون الانحطاط، تجديد الصلة بعصر الأنوار والخروج بكل من العصور الوسطى من خلال مواكبة التطور العلمي والتقني والاستسلام للتخصصات العلمية والتقنية الحديثة"⁴². وعليه يتوجب في نظره على البلدان الإسلامية، أن تركز جهودها على تربية النشء: "فضمير الطفل هو الذي يعكس الصورة المسبقة لضمير المواطن. في فجر الإسلام قال الخليفة علي رضي الله عنه لرفاقه: علموا أولادكم بغير علمكم لأنهم ولدوا لزمان غير زمانكم"⁴³.

وذهب إلى أنه لا يمكن أن نصنع الضمير، بالشعارات والتصفيقات ومداهنة رجال السلطة، بل يجب أن يكتسب على مقاعد الدراسة وحول مائدة الأسرة... وبالأساس لا نصنع مستقبلنا إلا بفضل تطويل التعليم والثقافة⁴⁴. وشدد على أن الوقت قد حان بالنسبة للشباب

الجزائري، ليقوم بدراسات جادة ويبدل قصارى جهوده لتحقيق العلوم، وفي المقابل يتوجب على الدولة أن توفر لهم ما يلزم من أحياء جامعية ومكتبات ومخابر، وأن تقوم بإرسالهم في بعثات طلابية إلى الدول الأوروبية لينهلوا العلم لدى: "كبار سادة العلم. العلماء هم أحسن رأسمال للبلاد" 45.

فالعلم هو البعد السادس في الإسلام على تعبيره، ولا بد من الخروج من عصور الظلام بأي ثمن، وبهذا قال القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ سورة الرحمن (الآية 33) وبالفعل لم يصل الإنسان إلى سطح القمر إلا بالعلم، وقد قال الرسول ﷺ: "ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا" وقال كذلك: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" 46.

ونبه فرحات عباس إلى أنه من الخطأ، الاعتزاز بعدد حاملي شهادة البكالوريا، لأن البعض منهم التحقوا بالجامعة وهم في مستوى السنة الرابعة متوسط، أي ضعاف المستوى وهذا يعني أنهم سيكونون إطارات رديئة في المستقبل، نحن في حاجة إلى تعليم راق وأستاذة في مستوى المهمة النبيلة المنوطة بهم، ومن الواجب أيضا إبلاء أهمية أكبر إلى مسألة تعليم شريحة الأميين، التغيير العميق يأتي من الجامعات، وفي مدرجاتها سيتدرّب الإطارات والمهندسون والضباط، ويجب أن تنال جميع التخصصات (الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والطب والصيدلة والإلكترونيك...) حظها من الطلبة المتفوقين: "ليطوفوا العالم طولا وعرضا لطلب العلم. من يفتقد الإحساس بجمال العلوم الدقيقة وفعاليتها ليس أهلا للإنسانية. الطموح لطلابنا أولا ولأمتهم ثانيا دون الوقوع في العصبية وعلى شبابنا الاقتناع بأهمية مهمتهم وثقل مسؤولياتهم. ليرفعوا أنظارهم إلى العلى" 47.

ووفقا لما جاء به، يتضح أنه ممن يشددون على ضرورة رفع التحدي، لتحقيق ثورة تعليمية رائدة، تؤدي بدورها إلى نهضة علمية حقيقية، في الجزائر وفي جميع البلاد العربية

والإسلامية، من خلال خوض معركة التعليم العلمي النوعي وليس الكمي، التي لا مناص منها، للخروج من مأزق التخلف الشامل، وحل الكثير من الإشكالات على كافة المستويات وخاصة الاجتماعية والاقتصادية، التي تعود في غالبها إلى الأمية والجهل المنتشران على نطاق واسع في تلك الأثناء، وقد أحالنا على بعض الآيات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، لتأكيد أهمية التعليم في إحداث التغيير، بل في اعتباره الوسيلة الوحيدة لطرق أبواب المجد والتقدم، كما أنه يحيلنا ضمناً إلى التجارب الإنسانية الرائدة في هذا الإطار والمتمثلة بالخصوص في الدول الأوروبية الغربية واليابان.

فالتقدم العلمي والتمدن كما هو معلوم ليسا حكراً على أقوام وأمم بعينها- وإنما في الإمكان بلوغه- بشرط أن نتعلم نحن كعرب ومسلمين العلوم العصرية، التي تفتح لنا مجال الإنشاء وال عمران التي بلغها الأوروبيون وغيرهم، فلا يوجد فرق في القابلية البشرية في هذا المضمار، إذا نحن نفضنا عنا غبار الخمول⁴⁸، وبالتالي فإننا تخلفنا ليس مرده إلى عدم الأهلية والقدرة على خوض غمار الرقي العلمي، وإنما العلة في ذلك تكمن في العوائق الفكرية، الناجمة عن الشعور بالضعف والعجز، ومنه فإن أزمنا بالدرجة الأولى هي أزمة فكرية⁴⁹.

خاتمة:

هذه بإيجاز بعض آراء وأفكار، المناضل والسياسي فرحات عباس، بخصوص الدولة الوطنية التي نشدها جيله المخضرم، من المناضلين السياسيين والمثقفين التحرريين ليس في الجزائر والبلاد العربية فحسب بل في جميع البلاد التي تعرضت للاستعمار على حد سواء، والتي جعلته يختلف ويصطدم مع رفقاته بالأمس في النضال والكفاح ضد المستعمر، ممن أصبحت في أيديهم زمام السلطة والحكم، وينتهي الأمر به إلى القطيعة مع أغلبهم، وقد كشف من خلالها عن قراءة عميقة للماضي وواعية للحاضر، ونظرة استشرافية متقدمة للمستقبل من ناحية أولى، وكشفت بحريات الأحداث نفسها، أنه إذا كان التحرر السياسي عملية صعبة وقاسية وشاقة ومريرة، فإن ما يأتي بعدها هو الأصعب، وهو تحقيق الأهداف المتبقية من مسيرة الكفاح، وعلى رأسها بناء الدولة الوطنية على أسس العدالة والحرية والمساواة والتنمية والرقي والرخاء الشامل، رحل الاستعمار من مستعمراته السابقة، ورحل ممن تولوا الحكم بعده من الوطنيين سواء أصابوا أو أخطأوا، ورحل

فرحات عباس وأغلب من اقتسم معهم القناعات الإيديولوجية والآراء والمواقف السياسية نفسها، لكن حلم الدولة الوطنية بقي حيا لدى بقايا ذلك الجيل، وسيستمر لا محالة مع الأجيال اللاحقة، لكن مع الأخذ في الاعتبار أن الظروف قد تغيرت تماما، وبالتالي يمكن القول أن العنوان الكبير سيبقى، ولكن بعض التفاصيل أو أكثرها ستتغير حتما، انسجاما مع المتغيرات الحاصلة على كافة المستويات والصعد محليا وجهويا وإقليميا ودوليا وكونيا.

الهوامش:

- 1- عبد الكريم بوصفصاف، وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص 206، 207، 208.
- 2- محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994م، ص 179، 180.
- 3- ليلي بن عمار بن منصور: فرحات عباس ذلك الرجل المظلوم، ترجمة حسين لبراش، د ط، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011م، ص ص 54-67.
- 4- نورالدين ثنيو: إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2015م، ص 426.
- 5- عبد الكريم بوصفصاف، وآخرون، المرجع السابق، ص 209، 210، 211.
- 6- عزالدين معزة: فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899م-1985م، مذكرة مقدمة لنبيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2004م/2005م، ص 48.

7- Le Jeune Algérien.

8- La Guerre D'Algérie-La Nuit Coloniale.

9- Autopsie D'une Guerre.

10- L'indépendance Confisquée.

11- Demain Se Lèvera Le Jour.

12- من مقدمة عبد الحليم عباس لكتاب والده فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، ترجمة حسين لبراش، د ط، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2012م، ص 7.

13- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها-ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، طبعة خاصة، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2011م، ص 2011.

14- المصدر نفسه، ص 42-46.

15- المصدر نفسه، ص 29، 30، 31.

16- حول اتفاقيات ايفيان ينظر:

René Galilissot :Les Accords d'Evian ,éditions Casbah, Alger,1997.

17- للمزيد ينظر: أحمد حداد: المرحلة الانتقالية في الجزائر 19 مارس-25 سبتمبر 1962م التحديات والنتائج،

مذكرة مقدمة

لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ،

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، السنة الجامعية 2014م-2015م.

وينظر أيضا:

Benkhadda Benyoucef : L'Algérie à L'indépendance , la crise de 1962,éd Dahlab, Alger,1997.

18- محمد مشاطي: مسار مناضل، ترجمة زينب قبي، د ط، منشورات الشهاب، الجزائر، ص 138.

19- بشير فايد: تاريخ الجزائر المعاصر مقالات وقراءات وشهادات، ط 1، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر،

2019م، ص 84.

20- بشير فايد: تاريخ الجزائر المعاصر مقالات وقراءات وشهادات، ط 1، دار النشر الجامعي الجديد، الجزائر،

2019م، ص 84.

21- حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، د ط، د ت، ص 236-241.

22- عزالدين معزة، المرجع السابق، ص 267-272.

23- بشير فايد: الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية 1920م-1965م، مذكرة ماجستير في التاريخ

الحديث والمعاصر غير منشورة، إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة

الجامعية 2000م/2001م، ص 153-154.

24- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، مصدر سابق، ص 33-37.

25- المصدر نفسه، ص 38.

26- المصدر نفسه، ص 38، 39.

27- عزالدين معزة، المرجع السابق، ص 272-273.

28- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، مصدر سابق، ص 45.

29- المصدر نفسه، ص 46.

30- المصدر نفسه، ص 46.

31- المصدر نفسه، ص 47.

32- المصدر نفسه، ص 47، 48.

33- المصدر نفسه، ص 48، 49.

34- للاطلاع على البرنامج مفصلا أنظر: فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، مصدر سابق، ص 49-73.

- 35- فرحات عباس: الاستقلال المصادر، مصدر سابق، ص 93، 94.
- 36- عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 272، 273.
- 37- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، مصدر سابق، ص 76-79.
- 38- المصدر نفسه، ص 80-92.
- 39- نجيب بصيلة: "المقارنة لتفسير سلوك صانع القرار في السياسة الخارجية الجزائرية"، مجلة تحولات، الجزائر، العدد 02، جوان 2018م، ص 231-233.
- 40- نجيب بصيلة، المرجع السابق، ص 224-228.
- 41- المرجع نفسه، ص 221، 222.
- 42- فرحات عباس: غدا سيطلع النهار، ص 93.
- 43- المصدر نفسه، ص 94.
- 44- المصدر نفسه، ص 94.
- 45- المصدر نفسه، ص 64.
- 46- المصدر نفسه، ص 64.
- 47- المصدر نفسه، ص 64.
- 48- شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟، د ط، مطبعة رحاب، الجزائر، ص 152.
- 49- أحمد محمد كنعان: أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ط 1، مركز البحوث والمعلومات، قطر، 1990م، ص 9.